الحال المنفية بين الكثرة والقلة

د. محمد السيد مولى البغدادى

مدرس بقسم اللغويات
كلية اللغة العربية بدمنهور

موضوع البحث ومنهجى فيه :

يقوم هذا البحث على مسألة واحدة تتعلق بباب الحال من النحو العربى والمحور الرئيسى لهذه المسألة هو الحال المنفية ، وهل تقع فى العربية بكثرة كما هو الشأن فى الحال المثبتة أم ذلك بقلة وندرة ؟

ويقوم منهجى فى هذا البحث بصورة أساسية على استخراج الأدلة فى كتب النحو أمهات وأصولا، وكذلك كتب النصوص لتحقيق هذه الظاهرة وهل هى فى النوع الأول أو من الثانى :

أولا الحال المنفية فى كتب النحاة :

فإذا بحثنا عن رأى النحويين فى هذه المسألة ، وجدنا أنها لم تكن مشكلة يستهد فونها بمعالجة مستقلة ، بينما يظهر لنا حينما ندقق فى مؤلفاتهم النحوية أنه يتشكل لها نسيج متكامل من قواعد صريحة يقررونها ، وأحكام ضمنية يصدرون عنها .

وإذا بحثنا صورة المسألة فى كتبهم تكشفت لنا الحقائق التالية :

١ — تقع الحال مفردة منفية بلا، ويغلب تكريرها ،ويندر إفرادها، قال الرضى[1] : (واعلم أن تكرير الحال بعد إما واجب لوجوب تكرير

(١) أنظر شرح الكافية ١/٢٠٠

إما ، نحو اضرب زيدا إما قائما وإما قاعدا ، وكذلك بعد لا ، لأنها تكرر في الأغلب، نحو جاءني زيد لا راكبا ولا ماشيا ، ويندر إفرادها نحو جاءني زيد لا راكبا) اهـ .

وقال ابن هشام(١) في لا : (وكذلك يجب تكرارها إذا دخلت على مفرد خبر، أو صفة ، أو حال ، نحو زيد لا شاعر ولا كاتب، وجاء زيد لا ضاحكا ولا باكيا ، ونحو إنها بقرة لا فارض ولا بكر) اهـ .

وجعل بعض النحاة تكريرها لازما ، وحمل إفرادها على الضرورة .

قال السيوطي(٢):(ويلزم تكرارها أيضا اختيارا إذا وليها مفرد منفي بها خبرا ، أو نعتا ، أو حالا ، نحو .. نظرت إليه لا قائما ولا قاعدا . ولم يكرر في ذلك ضرورة كقوله :

قهرت العدى لا مستعينا بعصبة
ولكن بأنواع الخدائع والمكر)اهـ

٢ — تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية ، فعلها مضارع منفي بلا ، وذلك أن النحاة يذكرون في سياق آخر : أن للحال تقع جملة فعلية منفية بلا ، ويكون رابطها الضمير ، فقط كما سيأتي ، ولما وجد بعضهم أنها تأتي رابطها الواو والضمير ، أولوا ذلك على إضمار مبتدأ ، تكون الجملة المنفية خبره كقوله تعالى : (فاستقيما ولا تتبعان)(٣) ، بتخفيف النون ، (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)(٤) .

---

(١) أنظر مغني اللبيب ١/٢٤٤

(٢) أنظر همع الهوامع ١/١٤٨ ، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ١/٤٦١ حاشية ٣

(٣) سورة يونس آية ٨٩ ، وأنظر شرح التسهيل لابن عقيل ٢/٤٦

(٤) سورة البقرة آية ١١٩ ، وأنظر إعراب القرآن للنحاس ١/٢٥٨

التقدير : وأنتما لا تتبعان ، وأنت لا تسأل(١) .

وتقع أيضا جملة اسمية خبرها جملة فعلية فعلها مضارع منفى بما ، كقول الشاعر :

نصف النهار الماء غامره ورفيقة بالغيب ما يدرى(٢)

جملة : ورفيقة ما يدرى حال من الضمير فى(نصف) على نصب النهار، أو فى الضمير فى (غامره) على رفع النهار .

٣ — تقع الحال جملة لا التابعة للجنس(٣)، فإذا وقعت مؤكدة لمضمون الجملة قبلها ، امتنع ربطها بالواو ،لأن المؤكد عين المؤكد ، فلو قرن بالواو كان فى صورة عطف الشيء على نفسه ، نحو قول الله تعالى :(ذلك الكتاب لا ريب فيه)(٤)،و(الله يحكم لا معقب لحكمه)(٥)،وهو الحق لا شك فيه .

٤ — تقع الحال جملة منفية بلبس ، قال الرضى(٦) : (وحكم الجملة المصدرة بلبس ، وإن كانت فعلية حكم الاسمية فى أن اجتماع الواو والضمير ، أو انفراد الواو أكثر من انفراد الضمير .

وذلك لأن ليس لمجرد النفى على الأصح ، ولا يدل على الزمان ، فهو

---

(١) أنظر حاشية الصبان ٢/١٨٨ . وهمع الهوامع ١/٢٤٦

(٢) أنظر شرح الكافية ١/٢١٢، وحاشية الصبان٢/١٩٢

(٣) أنظر أوضح المسالك ٢/٢٤٦، الهمع ١ / ٣٤٦، وحاشية الصبان ٢/١٨٨ ، والنحو الوافى ٢/٣٩٦

(٤) سورة البقرة آية ٢ أنظر فى إعرابها : إعراب القرآن ١ /١٧٨

(٥) سورة الرعد آية ٤١

(٦) أنظر شرح الكافية ١/٢١٢

كحرف نفي داخل الأسمية ، فالأسمية معها كأنها باقية على أسميتها ، بخلاف لا يكون وما كان ونحوهما) اهـ .

ومثال الربط بالواو والضمير قوله تعالى : (ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه) (١) .

ومثال الربط بالواو قول الشاعر :

دهم الشتاء ولست أملك عدة (٢)

ومثال الربط بالضمير فقط قول الشاعر :

فما بال النجوم معلقات بقلب الصب ليس لها براح(٣)

٥ — تقع الحال — باتفاق (٤) — جملة فعلية فعلها مضارع منفي بلا ، رابطها الضمير ، نحو جاءني زيد لا يركب غلامه (٥) ، و (مالي لا أرى الهدهد) (٦) .

و (مالنا لا نؤمن بالله) (٧) ، قال الرضي: (٨) (وإذا انتفى المضارع بلا ، لزمه الضمير كما يلزم المضارع المثبت على ما ذهب إليه النحاة ،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٧
(٢) أنظر همع الهوامع ١/٢٤٦
(٣) أنظر خزانة الأدب ٣/١٨٥
(٤) أنظر مغني اللبيب ١ /٢٤٤
(٥) أنظر شرح الكافية ١/٢١٢
(٦) سورة النمل آية ٢٠ ، وأنظر حاشية الصبان ٢/١٧٨
(٧) سورة المائدة آية ٨٤ ، وأنظر المرجع السابق
(٨) أنظر شرح الكافية ١ /٢١٣

والأغلب تجرده عن الواو كالمثبت . لأن معنى جاءنى زيد لا يركب ، أى غير راكب فهو واقع موقع المفرد ، ودخول لا ، يغير الكلام الأغلب عما كان عليه لكثرة استعمالها) اهـ .

وكقول الشاعر :

ولو أن قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب(١)

وقولهم : هو الحق لا يشك فيه أحد ، وما أنتم لا تعملون (٢) .

وقد يكون رابطها الواو حسب ، نحو جاءنى زيد ولا تركب عمرو (٣).

وقد يكون رابطها الواو والضمير نحو جاءنى زيد ولا يركب غلامه(٤)

فإذا جاءت بالواو أولها بعضهم — كما تقدم — على إضمار مبتدأ ، وذلك كقراءة ابن ذكوان : (فاستقيما ولا تتبعان) بالتخفيف .

وقول الشاعر :

أماتوا من دمى وتوعدونى وكنت ولا ينهنى الوعيد

وقول الآخر :

أكسبته الورق البيض أبا وقد كان ولا يدعى لأب(٥)

وكقوله تعالى:(إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم (٦)

---

(١) أنظر خاشية الصبان ٢/١٨٨

(٢) أنظر النحو الوافى ٢/٣٩٦ ، ٣٩٨

(٣) أنظر شرح الكافية ١/٢١٢

(٤) المرجع السابق ، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ١/٤٦٦

(٥) أنظر فى الآية وفى البيتين حاشية الصبان ٢/١٨٩

(٦) سورة البقرة آية ١١٩ ، وأنظر إعراب القرآن ١/٢٥٨

تقع الحال جملة اسمية منفية بما ، كقول الشاعر :

فرابنا مابيننا من حاجز (١)

٦ — تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بما ، ويكون رابطها الضمير وتمتنع فيها الواو ، قال الرضى (٢) : (وإذا انتفى المضارع بلفظ ما لم يدخله الواو ، لأن المضارع المجرد يصلح للحال ، فكيف لا إذا انضم معه ما يدل بظاهره على الحال ، وهو ما ، فعلى هذا ينبغي أن يلزمه الضمير) اهـ .

كقول الشاعر :

عهدتك ماتصبوا فيك شيبة فما لك بعد الشيب صبا متيما(٣)

وأجاز بعضهم الربط بالواو ، قال السيوطي (٤) : (والمنفى بما فيه الوجهان أيضا ، نحو جاء زيد وما يضحك ، أو ما يضحك) اهـ .

٧ — تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بلم (٥) ، ويكون رابطها الضمير ، أو الواو ، أو الأثنين معا ، فالضمير نحو قوله تعالى : (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)(٦)

---

(١) أنظر همع الهوامع ١/٢٤٦

(٢) أنظر شرح الكافية ١/٢١٣

(٣) أنظر حاشية الصبان ٢/١٨٩ ، وأوضح المسالك ٢/١٤٦

(٤) أنظر همع الهوامع ١ /٢٤٨

(٥) أنظر شرح الكافية ١ /٢١٢ ، ٢١٣ ، والهمع ١/٢٤٦ ، والتوضيح التكميل ١/٤٦٦

(٦) سورة آل عمران آية ١٧٤

وقول زهير :

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم(١)

والواو نحو قول عنترة :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن
للحرب دائرة على ابنى ضمضم (٢)

قال السيوطى (٣) : (وزعم ابن خروف أن المضارع المنفى بلم لابد فيه من الواو ، كان ضميرا ، أو لم يكن ، ورد بالسماع كالآيه السابقة) اهـ.

والواو والضمير معا ، كقوله تعالى : (أو قال أوحى ولم يوح إليه شىء)(٤) ، وقول النابغة :

سقط النصيف ولم يرد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد (٥)

٨ — تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بلما ، ورابطها الواو ، قال السيوطى (٦) : (والمنفى بلما كالمنفى بلم فى القياس ، إلا أنى لم أجده إلا بالواو ، نحو : أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم (٧) اهـ

وقوله تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله) (٨)

---

(١) أنظر حاشية الصبان ٢/١٩١
(٢) المرجع السابق
(٣) أنظر الهمع ١/٢٤٦ وأنظر شرح الكافية (١/٢١٢ ، ٢١٣)
(٤) سورة الأنعام آيه ٩٣
(٥) أنظر حاشية الصبان ٢/١٩١
(٦) أنظر الهمع ١/٢٤٧
(٧) سورة التوبة آية ١٦
(٨) سورة آل عمران آية ١٤٢ ، وأنظر حاشية الصبان ٢/١٩١

٩ — تقع الحال جملة فعلية فعلها ماض منفى بما ، وتربط بأحدهما ، أو بالاثنين معا ، قال الرضى (١) : (والماضى المنفى يجوز فيه ثلاثة أوجه اجتماع الواو والضمير ، والاكتفاء بأحدهما ، وهذه أمثلتها ، جاءنى زيد وما ركب غلامه ، وما ركب عمر ، ما ركب غلامه) اهـ .

وقال السيوطى (٢) فى الماضى المنفى ، وجواز الأوجه الثلاثة فيه: (نحو جاء زيد وما طلعت الشمس بالواو فقط ،جاء زيد وما درى كيف جاء ، بالواو والضمير ، جاء زيد مادرى كيف جاء ، بالضمير فقط) اهـ .

وقال ابن عقيل (٣) : (وكذلك المنفى ، نحو جاء زيد وماقام عمرو ، وجاء زيد ماقام أبوه ، أو وماقام أبوه) اهـ

١٠ — تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بإن،قال السيوطى(٤) (والمنفى بإن ، قال أبو حيان : لا أحفظه من كلام العرب ، والقياس يقتضى جوازه ، نحو جاء زيد إن يدرى كيف الطريق، قياسا على وقوعه خبرا فى حديث :: فظل إن يدرى كم صلى) اهـ

وقال الصبان (٥) : (والقياس كون إن بمنزلة ما ، قاله الدمامينى)اهـ .

ولا تقع الجملة المصدرة بلن حالا ، لأن شرط الجملة الحالية أن لا تصدر بعلم استقبال (٦).

---

(١) أنظر شرح الكافية ٢١٢/١
(٢) أنظر همع الهوامع ٢٤٧/١ ، وشرح التسهيل لابن عقيل ٤٩/١
(٣) أنظر التوضيح والتكميل ٤٦٦/١
(٤) أنظر همع الهوامع ٢٤٧/١
(٥) أنظر حاشيته ١٨٩/٢
(٦) المرجع السابق .

وقال السيوطى (١) : (تقع الحال جملة خبريه خالية من دليل استقبال أو تعجب ، فلا تقع جمله طلبيـة ، ولا تعجبية ، ولا ذا السين أو سوف أو لن) اهـ

ولم يفصل النحويون القول فى وقوع الحال جملة اسميه خبرها منفى ولم يأبهوا أن يقرروه تقريرا مباشرا ، كأنمـــا يرون ذلك من تحصيل الحاصل .

فقد أثبتوا أن الحال تقع جمله اسميـة (٢) ، ولم يكونوا فى حاجة إلى تفصيل القول فى الأحوال التى يأتى عليها خـبر الجملة الأسمية ، ومنها أن يأتى جملة فعليه فعلها مضارع منفى بلا ، فإذا كنا نقول فى خـبر الجملة الأسمية : أنتم لا تعلمون ، أمكن لنا أن نقول فى الحال : تسللت أخباركم إلى العدو وأنتم لا تعلمون . وقد أسلفنا أنهم أيقنوا بذلك وصدروا عنه .

وكثير ما حمل النحويون الحال على الخبر ، وقد تقدم أن أبا حيان أجاز أن يقـال : جاء زيد إن يدرى كيف الطريق ، بتصدير جملة الحال بإن النافية ، قياسا على وقوع الخبر جملة مصدرة بها فى حديث (فظل إن يدرى كم صلى) (٣)

ويقررون أنه : (لشبه الحال بالخبر والنعت جاز أن تتعدد) (٤) .

وأن : (الأصل فى الحال والخبر والصفـة : الإفراد ، وتقع الجملة موقع الحال ، كما تقع موقع الخبر والصفة)(٥)

---

(١) انظر همع الهوامع ١ / ٢٤٦ .
(٢) انظر على سبيل المثال ١ / ٢٤٦ ، شرح المفصل ٢ / ٦٥ ، ٦٦ .
(٣) انظر همع الهوامع ١ / ٢٤٧ .
(٤) انظر أوضح المسالك ٢/٢٣٧
(٥) أنظر التوضيح والتكميل بشرح ابن عقيل ١ / ٤٦٤

وأنه : (متى كان فى الكلام فائده ، فهو جائز فى الحال كما جاز فى الخبر) (١)

وكان سيبويه يعبر عن الحال بالخبر حيث قال (٢) : (هذا باب إجراء الصفة فيه على الأسم فى بعض المواضع أحسن ، وقد يستوى فيه اجراء الصفة على الأسم ، وأن تجعله خبرا فتنصبه ، فأما ما استويا فيه ، فقوله : مررت برجل معه صقر صائد به ، إن جعلته وصفا ، وإن لم تحمله على الرجل ، وحملته على الاسم المضمر المعروف نصبته ، فقلت: مررت برجل معه صقر صائدا به) اهـ ،

ولكننا نجد للنحويين — مع ذلك — إشارات إحصائية إلى حجم بعض الظواهر فى الحال ، وهى إشارات دالة على على أنهم أحسوا بهذا البعد ، بعد الكم فى رصد الحال ، وضبط وجوهها . فمن ذلك أنهم قرروا : أن مجىء الحال بعد (مابال) أكثرى .

وقد جاءت بعده على وجوه ، منها مضارعية منفية كما أنشد ابن الأعرابى :

وقائلة ماباله لا يزورها (٣)

---

(١) أنظر الأصول فى النحو لابن السراج ١/٢٥٩

(٢) أنظر الكتاب(تحقيق هاروق) ٢/٤٩ وبالهامش السيرافى ماملخصه معه صقر جملة مركبة من مبتدأ وخبر صفة لرجل ،وصائد به صفة أخرى إذا حملته على رجل — فإن حملته على الهاء فى معه ، وهو الاسم المضمر المعروف الذى عناه سيبويه نصبته على الحال ، وهذا معنى قوله : تجعله خبرا يعنى حالا

(٣)أنظر خزانة الأدب٣/١٨٥

وأنه يندر إفراد الحال بعد (لا) فى نحو جاء زيد لا راكبا (١).

وأنه يكثر فى جملة الحال المصدرة بليس أن يكون رابطها الوا والضمير ويقل فيها أو يكون الرابط الواو وحدها (٢)

وأن الأغلب فى المضارع المنفى بلا الواقع حالا تجرده عن الواو (٣)

---

(١) أنظر سرح الكافية ١/٢٢٠

(٢) أنظر الهمع ١/٢٤٦

(٣) أنظر شرح الكافية ١/٢١٣

الحال ومسألة (غير)

وأبدأ كلامى عن وقوع (غير) حالا وأن ذلك وجها من وجوه الحال ، المنفية ، بذكر بعض الأمثلة للحال التى يقع النفى الدلالى فيها على وجه مخالفة الأصل ، فمثلا حينما نقول : خرج أخى يائسا ، فإن يائسا قسيم آملا ، وهى تشتمل على نفيها ، وإذا قلنا : خرج أخى آملا ، كانت آملا فى دلالتها نفى يائسا .

ولسنا نتمسك فى موضوعنا بأمثلة الحال التى يقع النفى الدلالى فيها على وجه مخالفة الأصل ، لأن هذا تحصيل حاصل ومفروغ منه ببداهة العقل ، ولأن كل لفظ ذى دلالة يقابل على الضد المستفاد من النفى لفظا آخر ذا دلالة بالضرورة .

أما وقوع (غير) حالا ، فهو شائع وكثير ، ويفارق النفى الدلالى المتقدم بصورة أساسية ، ويتجاوز الافتراق ما يستفاد بغير على مستوى الدلالة إلى وجوه استعمالها على مستوى التركيب فى النحو .

أما ما يستفاد بها على مستوى الدلالة فمعروف ، وإذا تمسكنا بأنها تقابل الإثبات فى مثل قوله تعالى : (والرمان متشابها وغير متشابه)(١) .

وقوله تعالى : (والرمان مشتبها وغير متشابه)(٢) .

ومثل ذلك كثير ، فإن ألفاظ الأضداد على مستوى الدلالة ، تتقابل أيضا ، ومن تقابلها فى الحال حينما نقول مثلا : صرحت بذكر اسمه مطيعا

---

(١) سورة الأنعام آية ٤١ ، وانظر إعراب القرآن ٢/١٠١

(٢) سورة الأنعام آية ٩٩

لما يرضيني عاصيا لما يرضيه . ولعل هذا هو الحد الذى لحظه وتوقف عنده من أخرج غير أن تكون دليلا فى وقوع الحال نفيا .

ولكننى أجد فى استعمال غير حالا دليلا من النحو ، تفارق عنده ألفاظ الأضداد مفارقة تامة ، وذلك أنه يكثر فى استعمالها حالا أن يعطف على مخفوضها بالواو ، ولا .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : (إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ، ولا متخذى أخدان)(١) .

قوله تعالى : (وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ، لا متخذات أخدان)(٢) .

وقوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه)(٣) .

وفى التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح : (فإذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما)(٤) .

وواضح أن واو العطف على مجرور غير قد اقترنت بلا ، وهذا إنما يكون إذا سبقت الواو بنفى ، وعلى هذا فسر النحويون اقتران الواو العاطفة

---

(١) سورة المائدة آية ٥ ، وانظر إعراب القرآن ٢/٨

(٢) سورة النساء آية ٢٥

(٣) سورة البقرة اية ١٧٣ ، وانظر إعراب القرآن ١/٢٧٩

(٤) انظر التجريد الصحيح ١/٦٧

بلا النافية فى قوله تعالى : (ولا الضالين) بأنه يرجع على قوله تعالى: (غير المغضوب عليهم) ، وبأن فى غير معنى النفى .

قال ابن هشام(١) فى انفراد الواو عن أحرف العطف بأشياء .

(والثالث اقترانها بلا إن سبقت بنفى ، ولم تقصد المعية نحو ما قام زيد ولا عمرو ، ولتفيد أن الفعل منفى عنهما فى حالتى الاجتماع والافتراق ، وإذا فقد أحد الشرطين امتنع دخولها ، فلا يجوز نحو قام زيد ولا عمرو ، وإنما جاز (ولا الضالين) لأن فى غير معنى النفى) اهـ .

من أجل ذلك فقد أصبح ملحظ النفى فى (غير) منطلقا فى التأويل النحوى ، تتوضح به وجوه أساسية فى النفى كالنفى بلا .

ومن ذلك على سبيل المثال فقد مثل النحو الوافى لجملة الحال حين تكون مضارعية مسبوقة بحرف النفى لا ، بهذا المثال : ما أنتم لا تعلمون ؟

وعلق على المثال بقوله : (مثل هذا التركيب يتضح ويزول ما قد يكون فيه من غموض ، إذا عرفنا أن (لا) النافية تقدر فيه بكلمة (غير) المنصوبة على الحال المضافة ، وأن المضارع بعدها يقدر باسم الفاعل ، هو المضاف إليه ، أى : ما أنتم غير عاملين ؟

أى : ما أنتم وما أمركم فى الحالة التى لا تعلمون فيها ؟

وهو مثل الآية الكريمة : (وما لنا لا نؤمن بالله) .

---

(١) انظر مغنى اللبيب ٢/٣٥٥

التقدير :

ما لنا غير مؤمنين؟ ما أمرنا وما شأننا فى الحالة التى تكون فيها غير مؤمنين)(١) ا . هـ

وهذه الشواهد المتقدمه من اقتران (لا) النافية بالواو فى سياق (غير) تفضى بنا إلى ظن قوى أن (غـــير) تجاوزت مستوى النفي الدلالى إلى مستوى من النفي قريب من وسائله فى حيز النحو .

وإذا قيل : إن النحويين كثيراً ما يحملون على المعنى فى أحكامهم ، أقول : إن لغير امتيازا خاصا على هذا الوضع ، فنحن نستطيع أن نقول مثلا : نفذ خطته غير مطيع للأوامر ولا آبه بها .

ولكننا لا نستطيع أن نقول: نفذ خطته عاصيا للأوامر ولا آبها بها، فنقرن الواو بلا سياق غير ، ولا نقرنها بها فى سياق لفظ دلالته مساوية لغير ومجرورها .

* * *

(١) انظر النحو الوافى ٢/٣٩٨ حاشية (١) .

ثانياً : الحال المنفية فى كتب النصوص :

اشتملت عينة النصوص التى جمعتها فى بحثى مجموعة من الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية ، ومجموعة من الشعر القـــديم من الوحشيات وأصلين من النثر العباسى هما مقامات البديع والبخلاء للجاحظ ، كما اشتملت على بعض الأبيات من شعر المتنبى كأمثلة للاستئناس بها فى وجـود هذه الظاهرة .

واهتممت بعرض هذه الشواهد والأمثلة ، لأن غاية البحث الرئيسية ، هى الاستدلال عن وجود الظاهرة فى العربية بتواتر يخرجها من حد القلة ، أو الندرة إلى باب الكثرة .

ويستوى للحال المنفية على مستوى النصوص ، وضع ظاهرة نحوية قائمة تتخذ وجوها وأنحاء متنوعة ، تتفاوت فى درجة شيوعها وامتدادها ، وتـكشف هذه العينة من النصوص العربية عن الوجوه التالية فى استعمال الحال نفيا :

١ — تقع الحال جملة إسمية خبرها جملة فعلية منفية بلا ومن ذلك :

قوله تعالى : (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)(١) .

وقوله تعالى : (يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)(٢) .

وقوله تعالى : (فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون)(٣) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨١

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٢ ، وانظر فى اعتبارها حالا مشكل إعراب القرآن ١/١١٥

(٣) سورة الشعراء آية ٢٠٢

وقوله تعالى : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون)(١) .

وقوله تعالى : (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)(٢) .

وقوله تعالى : (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)(٣) .

وقوله تعالى : (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون (٤) .

وقوله تعلى : (ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)(٥) .

وقول بديع الزمان : (فوليت ظهرى الأرض وعيناى لا يملكهما غمض)(٦) .

٢ — تقع الحال جملة منفية بليس ، ويكون رابطها الضمير فقط .

ومن ذلك :

قوله تعالى : (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلهـــا نصف ما ترك)(٧) .

---

(١) سورة النمل آية ٥٠

(٢) سورة النمل آية ١٨

(٣) سورة الحجرات آية ٢

(٤) سورة القصص الآية ٩ ، وانظر الآية رقم ١١

(٥) سورة آل عمران آية ٢٥ ، لانظر الآية ١٦١ ، والأعراف ٩٥ ، ويوسف ١٥ ، ١٠٧ ، والزخرف ٦٦ ، والزمر ٦٤ ، والعنكبوت ٥٣

(٦) شرح مقامات بديع الزمان ص ٤٩

(٧) سورة النساء آية ١٧٦

وفى الحديث : (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم) (١) .

وفى الحديث : (هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله ، قال : فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟) (٢) .

وفى الحديث : (قال رسول الله ﷺ : لا يصلى أحدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه شىء) (٣) .

وفى الحديث : (فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة) (٤).

وقال الجاحظ : (فإذا أبردنا تغرقنا ، وإلا فالموت ليس دونه شىء) (٥).

٣ — تقع الحال جملة منفية بليس ، ويكون رابطها الواو والضمير معا .

ومن ذلك :

قول جابر بن عبدالله : (أهل النبى ﷺ هو وأصحابه بالحج وليس مع أحد منهم هدى غير النبى ﷺ وطلحة) (٦) .

---

(١) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ١/١٠٢

(٢) المصدر السابق ١/٦٥

(٣) المصدر السابق ١/٣٧

(٤) المصدر السابق ١/٢١

(٥) أنظر البخلاء ص ٥٩

(٦) أنظر التجريد الصريح ١/١١١

وقول أبي الخطار الكلبي :

وقينا كم حر القنا بنفوسنا
وليس لكم خيل سوانا ولا رجل (١)

وقول أبي تمام :

وما كان إلا مال من قل ماله
وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

٤ — تقع الحال جملة فعلية منفية بلا ، رابطها الضمير فقط ، وهذا أوسع وجوهها دورانا .

ومن ذلك :

قوله تعالى : (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله) (٢) .

وقوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)(٣).

وقوله تعالى : (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض) (٤) .

وقوله تعالى : (ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) (٥).

---

(١) أنظر الوحشيات لأبى تمام ص ٤٢

(٢) سورة النساء آية ٧٥ ، وانظر فى اعتبارها حالا مشكل إعراب القرآن ١/٢٤٢

(٣) سورة النحل آية ٧٨

(٤) سورة البقرة آية ٢٧٣ ، وانظر فى اعتبارها حالا مشكل إعراب القرآن ١/١١٥

(٥) سورة البقرة آية ١٧ ، وانظر فى اعتبارها حالا إعراب القرآن للنحاس ١/١٩٢ وانظر الآيتين ١٣٦ ، ١٦٢

وقوله تعالى : (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) (١) .

وقوله تعالى : (ومالنا لا نؤمن بالله) (٢) .

وقوله تعالى : (وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد) (٣) .

وقوله تعالى : (وقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) (٤) .

وقوله تعالى : (مالكم لا تناصرون) (٥) .

وقوله تعالى : (ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) (٦) .

وفى الحديث : عن عائشة رضى الله عنها قالت إن قوما قالوا يارسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا . فقال رسول الله ﷺ : سموا الله عليه وكلوه) (٧) .

وفى الحديث : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خرج النبى ﷺ فى طائفة من النهار لا يكلمنى ولا أكلمه (٨) .

---

(١) سورة النساء آية ٩٨ ، وانظر فى اعتبارها حالا إعراب القرآن للنحاس ١/٤٨٤

(٢) سورة المائدة آية ٨٤ ، وانظر إعراب القرآن ٢/٣٧

(٣) سورة النمل آية ٢٠

(٤) سورة ص ٦٢ ، وانظر إعراب القرآن ٣/٤٧١

(٥) سورة الصافات آية ٢٥ ، وانظر إعراب القرآن ٣/٤١٦

(٦) سورة الحديد آية ٨ ، وانظر إعراب القرآن ٤/٣٥٢

(٧) أنظر التجريد الصريح ١/١٢٩

(٨) أنظر المصدر السابق ١/١٣١

وقول الشاعر :

تركناهم لا يستحلون بعدها

لذى رحم يوما من الناس محرما (١)

وقال الجاحظ : (ضمنت لى الخلف ، فانتفعت على عدتك ، وأنا اليوم مذ كذا و كذا سنة أنتظر ماوعدت ، لا أرى منه قليلا ولا كثيرا) اه(٢).

وقال المتنبي :

فأمسك لايطال له فيرى ولاهو فى العليق ولا اللجام(٣)

وقال بديع الزمان : (ويقيت وحدى لا أجد من يشد يدى) (٤) .

ولكثرة وقوع الحال جملة فعلية منفية بلا ، نجد أن الحال قد إستقرت على صور من الجملة الفعلية المنفية بلا ، إتخذت هيئة الانماط فى الاستعمال حتى غدا مستهجنا أن تقع الحال منها مثبتة ، ومن أمثلة هذه الظاهرة :

قول الجاحظ : (فلما رآه جبل واجما لا يحير كلمة) اه (٥) .

ومن ذلك الأمثلة التى تتردد كثيرا : جلس فلان لا يبالى شيئا — لا يعبأ بشىء — لا يقر له قرار .

٥ — تقع الحال جملة لا النافية للجنس ، ويكون رابطها الضمير وحده.

---

(١) أنظر الوحشيات ص ٦٧

(٢) أنظر البخلاء ص ٤٤

(٣) أنظر ديوان المتنبى ٤/٢٧٩

(٤) أنظر شرح مقامات البديع ص ٤٤

(٥) أنظر البخلاء ص ٦٠

ومن ذلك :

قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (١) .

وقال الجاحظ : (ثم لا يزال أحدهم يسل من الخيط القطعة بعد القطعة ، حتى يبقى الحبل لا شيء فيه) (٢)

والرابط هنا الضمير فقط لأن الحال مؤكدة لمضمون الجملة قبلها :

٦ — تقع الحال جملة أسمية منفية بما ، رابطها الواو والضمير ، أو الواو (٣) وحدها .

ومن ذلك :

---

(١) سورة البقرة آية ٢ ، وفى الآية أكثر من إعراب ، أنظر: إعراب القرآن للنحاس ١/١٧٨ ، ومعانى القرآن للفراء ١/١٠

(٢) أنظر البخلاء ص ٣٨

(٣) هذه الواو هى واو الحال ، أو واو الابتداء ، قال سيبويه ١/٩٠ : (وأما قوله عز وجل : يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، فإنما وجهوه على أنه يغشى طائفة منكم وطائفة فى هذه الحال كأنه قال : إذ طائفة فى هذه الحال ، فإنما جعله وقتا ، ولم يرد أن يجعلها واو عطف ، وانما هى واو الابتداء) اهـ وقال المبرد فى المقتضب ٤/١٢٥ :(وهذه الواو التى يسميها النحويون واو الابتداء ، ومعناها إذ) اهـ .

وقال السيوطى فى الهمع ١/٢٤٧ : (هذه الواو تسمى واو الحال والابتداء وليست عاطفة ولا أصلها العطف ، وقدرها سيبويه والأقومون بإذ ، ولا يريدون أنها بمعنى إذ ، إذ لا يرادف الحرف الاسم ، بل إنها وما بعدها قيد للفعل السابق كما أن إذ كذلك) اهـ .

وانظر أمالى ابن الشجرى ٢/٢٧٧

قوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) (٤) .

وقوله تعالى :(أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين)(١) .

وقول المتنبي(٢) :

وقفت وما فى الموت شك لواقف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم

وقول أبى فراس :

أسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى
ولا فرسى مهـــر ولا به غمر

٧ — تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بما ، رابطها الواو أو الضمير ، أو الاثنين معا .

ومن ذلك :

فى الحديث :(عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال : إنى لأصلى بكم وما أريد الصلاة ، أصلى كيف رأيت النبى ﷺ يصلى)(٣) .

وفى الحديث :(... فرفع يديه وما نرى فى السماء قزعة)(٤) .

وفى الحديث :(.. . فرجعنا وما نرى فى السماء قزعة)(٥) .

---

(١) سورة البقرة آية ٨

(١) سورة آل عمران آية ٩١ ، وانظر شكل إعراب القرآن ١ /١٥٠

(٢) أنظر ديوان المتنبي ٤/١٠١

(٣) أنظر التجريد الصريح ١ / ٥٨

(٤) أنظر التجريد الصريح ١ /٧٢

(٥) أنظر التجريد الصريح ١ /١٢٧

وفى الحديث : (عن عائشة رضى الله عنها قالت : لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الفجر ، فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات فى مروطهن ، ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد) (١) .

وفى الحديث : (كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها) (٢) .

٨ — تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بلم ، رابطها الواو والضمير ، أو أحدهما .

ومن ذلك :

قوله تعالى : (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) (٣) .

وقوله تعالى : (قالوا : أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يأت سعة من المال) (٤) .

وفى الحديث : (عن عمر بن أمية رضى الله عنه أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يحتز من كتف شاة ، فدعى إلى الصلاة ، فألقى السكين ، فصلى ولم يتوضأ) (٥) .

---

(١) أنظر التجريد الصريح ١/٣٦

(٢) أنظر التجريد الصريح ١/٦٢

(٣) سورة آل عمران آية ٤٧

(٤) سورة البقرة آية ٢٤٧

(٥) أنظر التجريد الصريح ١/٢٧

وفيه : (... مات لم يأكل من أجره شيئا)(١)

وفية : (... فما لهم لم يدخلوه فى البيت ؟)(٢) .

وقول الشاعر :

هتكت الرواق ولم يبردوا ونديت فانتبهوا للنداء(٣)

وقول الشاعر :

تعلقت ليلى وهى ذات مؤصـــد
ولم يبد الأتراب من ثديها حجم(٤)

وقول الشاعر :

وزلت ولم ترى يوما كريها تسر الروح فيـه بالزوال(٥)

وقول الشاعر :

وجدت شفاء الهموم الرحيل فصرم الخلاج ووشك القضاء
وإيواؤك الهم لم تمضـــه إذا ضافك الهم أعنى العناء(٦)

وقول الشاعر :

أتذهب كلب لم تنلها رماحنا وتترك قتلى راهط هى ماهيا(٧)

---

(١) انظر التجريد الصريح ١/٨٧

(٢) انظر التجريد ١/١٠٨

(٣) البيت للمرار الفقعى ، وانظر الوحشيات ص٦٦

(٤) البيت لقيس بن الملوح ، وانظر أسرار العربية ص ١٩٠

(٥) البيت للمتنبى ، وانظر ديوانه ٣/١٣٥

(٦) البيتان للمرار الفقى وانظر الوحشيات ص٥٣

(٧) البيت لزفر بن الحارث الكلابى إانظر الوحشيات ص٥٠

وقول الشاعر :

شربنا فتنا ميتة جاهلتة
مضى أهلها لم يعرفوا ما محمد ؟(١)

وقول بديع الزمان : (... فلنا : فما تقول فى طرفة ؟ قال ...مات ولم تظهر أسرار دفائنه ، ولم تفتح أغلاق خزائنة)(٢)

وقول الجاحظ : (... فصوبت إليها المسيل ، فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافيا لم يخالطه شيء)(٣) .

٩ — تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بلما .

ذكرت فى بداية البحث أن السيوطى(٤) ذكر المنفى بلما ، وقال : (إلا أنى لم أجده إلا بالواو) وذكر آيتين لذلك .

ولكن الرابط قد يكون الواو والضمير ، ومن ذلك :

قوله تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم)(٥) .

---

(١) البيت للأخطل . وانظر ديوانه ٢/٧٣٢
(٢) انظر شرح مقامات البديع ص١٤
(٣) انظر البخلاء ص٤٨
(٤) انظر الهمع ١/٢٤٧ ، وانظر حاشية الصبان ٢/١٩١
(٥) سورة البقرة آية ٢١٤

أصالة النفى فى الحال

مما يدل على هذه الأصالة أن الحال فى اللغة تقع مشتبهة بالخبر والصفه ، وذلك أنها تستعمل على أنحاء تحمل الحال والصفة حينا ، وتحتمل الحال والخبر حينا آخر ، ويؤيد هـــذا ما لحظه النحويون من الشبه بين الحال والخبر والنعت

قال المبرد(١) : (هذا باب ما يجوز لك فيه النعت والحال ، ولا يكون مجازهما واحدا ، ولما تحقل كل واحد منهما عليه ، وذلك قولك : مررت بامرأة معها رجل قائمة يافتى ، إذا حملت ذلك على مررت بامرأة ، وإن حملته على الهاء فى معها ، قلت : رجل قائمة .

والمعنى — إذا نصبت — أنك مررت به معها فى حال قيامها ، فكانت المقارنة فى هذه الحال .

ومن ذلك : هذه دابة تشتد مكسوراً سرجها ، إن حملته على الضمير فى تشتد ، وإن حملته على دوابه رفعت ، فيكون نعتا كأنك قلت : هذه دابة مكسور سرجها ، وفى الباب الآخر أنها تشتد فى هذه الحال .

وتقول : نحن قوم ننطلق عامدين بلد كذا وكذا ، فتنصب عامدين ، لما فى قولك ننطلق ، فإن أردت أن تجريه على قوم رفعت) اهـ

وهذه مسألة اتفق عليها النحويون ، ولكننا نأخذ منها استدلالية خاصة . لأن الحال المشتبهة بالنعت ، والحال المشتبهة بالخبر جاءتا نفيا ، فإذا كان ذلك كذلك ، دل على أن نفى الحال مثل نفى الخبر ونفى الصفة . وليس النفى فى الصفة والخبر بموضع إنكار .

---

(١) انظر المقتضب ٢/٢٦١ ، وانظر سيبويه ٢/٤٩ ، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ١/٤٦٤ ، وأوضح المسالك ٢/٢٣٧

فمن وقوع الحال منفية مشتبهة بصفة منفية :

قوله تعالى : (لابثين فيها أحقابا ، لايذوقون فيها برداً ولاشراباً)(١).

وفى الحديث : (... من توضأ نحو وضوئى هـــذا ثم صلى ركعتين لايحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه)(٢) .

ومن وقوع الحال منفية مشتبهه بخبر منفى :

ما روى : (عن جابر رضى الله عنه قال : جاء رسول الله ﷺ يعودنى وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ ، وصب على من وضوئه ، فعقلت)(٣) .

وفى الحديث : (عن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم والله عز وجل يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله)(٤) .

ومن مظاهر أصالة النفى فى الحال : أنها تتخذ صيغا ظاهرها النفى ، ولـكنها تحولت أنماطا ثابتـة ، دلالتها الإيجاب ، ومن ذلك وقوع الجمل (لا تلوى — لايحير كلمة — لا يعبأ بشىء — لايقر له قرار) أحوالا بكثرة، كما تقدم فى وقوع الجملة الفعلية المنفية بلا ، حالا .

---

(١) سورة النبأ آية ٢٣ ، ٢٤ . (لايذوقون) تحتمل الحال من ضمير (لابثين) والنعت (لأحقاب) انظر فى ذلك مشكل إعراب القرآن ٢/٤٥١، وإعراب القرآن للنحاس ٥/١٣١

(٢) انظر التجريد الصريح ١/٢٤ .

(٣) وانظر التجريد الصريح ١/٢٦ .

(٤) انظر المصدر السابق ١/١٦ .

ولعل من هذا الموضع فى دلالته على أصالة النفى فى الحال وقوع جملة النفى المنتقض نفيها بإلا حالا .

ومن ذلك :

ماجاء فى الحديث : (عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجنا لا نرى إلا الحج ...)(١) .

وفيه أيضاً : (... خرج فى سبيله لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى)(٢) .

ومنه أيضاً ما أداه من وقوع الحال منفية مسبوقة بشرط ، كما فى الحديث : (... ذكروا أن النبى ﷺ قال : اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم وإن لم تكونوا جنبا)(٣) .

وحينما نقول مثلا : الأديب الحق هو : إذا عرض عليه نوع من الأدب ، عرف عصره ولو لم يعرف قائله .

وأرى حرف الشرط (إن ولو) يفيد فى الحال المنفية معنى إضافيا . ولعل مما يؤيد القول بالحالية فيما تقدم أن أبناء العربيه يستسيغون الجملتين الآتيتين :

١ — هل يحضر الصديق ولم يدع ؟

٢ — هل يحضر الصديق وإن لم يدع ؟

---

(١) انظر المصدر السابق ١/٣١

(٢) انظر المصدر السابق ١/١١

(٣) انظر المصدر السابق ١/٧٠

ويلحظون الحالية فى الأولى ، ويلحظون الحاليـــة مع معنى إضافى فى الثانية .

ومن مظاهر هـذه الأصالة أيضا أن الحال المنفية جاءت مع عوامل الرفع والنصب من كان وكاد ، وفى ذلك دلالة على أن الحال المنفية ظاهرة ذات امتداد . وواضح فى ضوء التحليل أن جمل الحال المنفية فى الشواهد التالية ترتد بعد حذف النواسخ إلى جمل منفية بسيطة : اسمية أو فعليـة ، ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : (فمالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)(١) .

وقول بديع الزمان:(... ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم)(٢).

ومن ذلك أنه قد يعطف النفى على الإثبات ، فتقع الحال منفية معطوفة، كما فى حديث أنس رضى الله عنـــه : (فألقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون)(٣) .

وقول البديع : (ألا تعجبون ممن ينام وهو يخشى الموت ، ولا يرجو الفوت)(٤) .

ومع أن النفى هنا يأتى عقب الإثبات ولا يأتى حالا ابتـداء ، فإنه يأتى قريع الإثبات من جهة ويصلح لأن يقع حالا من غير أن يتكىء على الإثبات. ويمكن لنا أن نمتحن ذلك باطراح المثبت مما تقدم ، وإذن تبقى النصوص هكذا : (فألقوا فى الحرة... لا يسقون) ، (ألا تعجبون ممن ينام ولا يرجو الفوت).

---

(١) سورة النساء آية ٨٧ .

(٢) انظر مقامات البديع ص ١١ .

(٣) انظر التجريد الصريح ١/٢٨ .

(٤) انظر مقامات البديع ص ١٧٦ .

تعقيب وخاتمة

وإخال ما تقدم ، على مستوى القواعد والنصوص ، ينهض دليلا قوياً على أن الحال فى العربية ، تقع منفية بكثرة ظاهرة .

ولكن يبدو لى أيضا على مستوى النظر ، أن مجىء الحال منفية ظاهرة نحوية شأنها شأن سائر الظواهر النحوية فى أنها تنضبط بأصول — ويبدو لى من خلال البحث أن أهم الأصول التى تنضبط بهـــا هذه الظاهرة : أصلان :

أولهما: عامل الحال وخاصة دلالته ووجه العلاقة بينها وبين دلالة الحال هل تجريان معا على وجه الإيجاب ، أم على وجه السلب ، أم بين بين ؟

وثانيهما : السياق سياق الجملة فى النص ، أو فى الموقف الـكلامى .

ومن أمثلة الأصل الأول أننا نقول :

— مابال أخيك يهادن كل أحد .

— ما بال أخيك لا يهادن أحداً .

نجد أنهما على مستوى واحد من الصواب السائغ ، لجريان هذا الضرب من السؤال مع التعميم نفيا وإيجابا .

ونقول أيضا :

— لبث أخوك وقتا يتـكلم .

— لبث أخوك وقتا لا يتـكلم .

المثالان على مستوى واحد من القبول لجريان دلالة (الليث) مع حال التـكلم وعدمه .

ومن أمثلة الأصل الثانى : أننا نقول : جاء أخوك لا يبكى ، فقد يبدو لبعض الناس أن هذه الجملة على هذا النحو المجرد ، تجعل الحال المنفية كأنها لا تنطوى على أية فائدة ، فلا يسوغ فيها وقوع الحال نفيا .

ولكن يظهر لنا أن الإتساع بهذه الجملة إلى سياق مخصوص ، يجعلها ، مفيدة فائدة تامة ، ومقبولة بلا تحفظ .

فمثلا : إذا كان الأبوان فى معرض الحديث عن ابنهما ، فى أو عهده بالمدرسة ، وأنه كان يعود منها باكيا فى كل مره ، وقال أحدهما فى معرض المواجهة والتذكر : هل حدث أنه عاد يوما من المدرسة لا يبكى ؟ كان وقوع الحال نفيا فى جملته من هذا السياق مقبولا مفيداً .

بل إنه فى نطاق بعض التراكيب يعانى الإثبات ما يعانى النفى من التحفظ عليه ، وعدم إساغته فى جمل محدودة ، موضوعة خارج سياق كامل .

فمن ذلك أننا نقول : دخل البيت يجر رجليه ، كان مقبولا مستساغا .

فإذا قلنا : دخل البيت لا يجر رجليه ، كان ذلك كالإخبار بما لاداعى له ولا فائدة منه .

لكننا نقول بإزاء ذلك : دخل البيت لا يقوى على التقاط أنفاسه ، فهو سائغ مقبول .

فإذا قلنا : دخل البيت يقوى على التقاط أنفاسه ، كان مستقبحا غير مقبولا ولا مستساغ ، فهو كمثل تحصيل الحاصل .

ولو قلنا : صمد المذنب لسيف الجلاد لا يرف له جفن ، النفى هنا

هو الوجه ، كأنه لا وجه غيره ، فلو أن أحداً جاء بجملة الحال على الإثبات ما استقام له ذلك ، و كان مستهجنا غير سائغ .

و بناء على ماتقدم ، فإنه يمكن لى أن أقرر أن وقوع الحال نفيا يشبه أن يكون قياسا ، لا يعترضه إلا ما يعترض غيره من الأقيسة بين الممكن على مستوى المظار ، والمستعمل على صعيد الواقع .

والله ولى التوفيق

مراجع البحث

١ — القرآن .

٢ — أسرار العربية — لابن الإنبارى — تحقيق بهجت البيطار — دمشق ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م .

٣ — الأصول فى النحو — لابن السراج — تحقيق عبد الحسين الفتلى — ١٩٧٣ م .

٤ — إعراب القرآن الكريم — لأبى جعفر النحاس — تحقيق زهير غازى زاهـــد — عالم الكتب — مكتبة النهضة العربية — الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ — ١٩٧٤م

٥ — البخلاء — للجاحظ — دار صادر — بيروت .

٦ — التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح — للحسين بن المبارك — مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده — مصر .

٧ — التصريح على التوضيح — دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٧ — التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل — محمد عبد العزيز النجار مطبعة الفجالة — القاهرة — ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م

٩ — حاشية الصبان على شرح الأشمونى — داو إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى .

١٠ — خزانة الأدب — للبغدادى — المكتبة السلفية — القاهرة ١٣٤٩ هـ .

١١ — شرح التسهيل لابن عقيل — المساعد على تسهيل الفوائد تحقيق محمد كامل بركات — الطبعة الأولى — ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م — دار الفكر — دمشق :

١٢ — شرح ديوان المتنبي، وضع البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م

١٣ — شرح الشواهد للعيني ، انظر حاشية الصبان .

١٤ — شرح الكافية ، للرضي الإستراباذي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م .

١٥ — شرح المفصل ، لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

١٦ — شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢م.

١٧ — شعر الأخطل ، صنعة السكري ، تحقيق فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م

١٨ — ضياء المسالك إلى أوضح المسالك لابن هشام ، محمد عبد العزيز النجار ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م

١٩ — الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٣٥ هـ ، ١٩٧٥ م .

٢٠ — مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق ياسين السواس ، دمشق ، ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤م

٢١ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضع محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م

٢٢ — معاني القرآن ، للفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م

٢٣ — مغني اللبيب لابن هشام ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده .

٢٤ — المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ .

٢٥ — النحو الوافى ، عباس حسن ، الطبعة السادسة ، دار المعارف.

٢٦ — همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، دار المعرفة للطباعه والنشر ، بيروت لبنان .

٢٧ — الوحشيات لأبى تمام ، تحقيق محمد عبد العزيز الميمنى ومحمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ م

البحث

تأليف / دكتور محمد السيد متولى البغدادى

مدرس بقسم اللغويات

كلية اللغة العربية بدمنهور

فرع جامعة الأزهر